إعداد : ياسر السيد

الأصل فيها البر والقسط مادام مسالماً

الإسلام .. ومعاملة غير المسلمين

الأصل في معاملة المسلم لغير المسلم هو البر والقسط ما دام مسالما، وذلك واضح في قوله تعالى: (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ () إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ). ومما يلفت النظر وصف علاقة المسلم بغير المسلم بالبر. وفضلا عن أن البر أقصى درجات حسن الخلق، فان اللفظة ومشتقاتها ترد في القرآن والسنة في وصف علاقة الإنسان بوالديه، وهي علاقة تشمل الرحمة والاحترام وحسن المعاملة. والقرآن يدعو المسلمين إلى الحوار السلمي مع أهل الكتاب بالذات والتأكيد على القواسم المشتركة «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن...». ويحث المسلمين على فهم القواسم المشتركة بينهم وبين أهل الكتاب والاستفادة منها في التواصل معهم بما لايخالف أحكام الإسلام. ونؤكد ان الأبحاث المنشورة تمثل رأي صاحبها

لقد وجه الله هذه الأمة إلى إقامة العدل في جميع المواقف والأحوال وفي كل الظروف وحذرها من ترك العدل بسبب العداوات والشنآن.

ومنعها من الاعتداء حتى على من بدرت منه بوادر الأذى والصد عن وجوه الخير.

قال تعالى : [ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى] «المائدة : 8».

ومعنى لا يجرمنكم أي لا يحملنكم بغضهم على عدم العدل معهم.

وقال سبحانه : [ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان] «المائدة:2».

وأمر الله بالعدل وجعله قرين الإحسان فقال : [إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر] «النحل : 90».

وجعله من مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم مقرونا مع الإيمان بما أنزل الله قال تعالى : [فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم] «الشورى:15».

هذه النصوص القرآنية الكريمة تربت عليها أمة الرسالة فكان في سيرة رسولها صلى الله عليه وسلم وسيرة صحابته أعظم النماذج في إقامة العدل والتسامح مع الخصوم مهما كان جرمهم ومهما كان التمكن منهم من قبل المسلمين

ابتداء لا بد من الاعتراف بأن هناك عوائق كبيرة تحول دون التعايش والتعاون بين المسلمين وليس الإسلام والغرب : والسبب الرئيس في ذلك أزمة الخوف المتبادل بين الطرفين ، والخوف بينهما حقيقة لا بد من الاعتراف بها أولاً ، ثم معرفة أسبابها : من أجل السعي الدؤوب لإزالتها حتى يتحقق التعايش والتعاون : لأنه لا يمكن التعايش والتعاون بين الطرفين في ظل الخوف من الآخر : لأن الخوف من الشيء تضاده الثقة فيه ، وللخوف والثقة تبعات عمليّة ، ولذلك كان الخوف من الإسلام ينافي الثقة فيه ، ولكل منهما أهمية قصوى في الواقع : فالثقة تستدعي الطمأنينة والتعامل الإيجابيّ ، والخوف يستلزم الحذر والتعامل السلبيّ .

فكيف يتعايش الإسلام والغرب ويتعاونان ؟

وعلام يتعايشان ويتعاونان؟

إنّ من مصلحة العالم كله أن يتعايش الغرب والمسلمون ، وأن يتعاونوا في تحقيق المصالح المشتركة للأرض وسكانها ، وإن من مصلحة الأرض أن ينبري العقلاء فيها لنزع فتيل الصدام بين المسلمين والغرب وإشاعة التعاون والتعايش بينهما .

وقبل أن أوضح مدى إمكانية التعايش والتعاون مع غير المسلمين التي يمتلك الإسلام في جوهره دواعيها أودّ أن أوضح أن الأكثريّة من المسلمين يؤمنون بأن غيرهم يمكن أن يكون مثلهم في النظرة المريدة للتعايش والتعاون ، ولا سيما النصارى : ففي كتاب الله يقول الله عزّ وجل: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (المائدة:82).

وورد في بعض الآثار عن الروم مدح لهم فيه: (إنّ فيهم لخصالا أربعا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرّة بعد فرّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك).

إنّ الأكثريّة من المسلمين يدركون مدى الحاجة إلى التعايش بين الأديان ، وإلى التعايش والتعاون بين الحضارات والشعوب ، انطلاقا من أن الإسلام هو دين السلام ، وأن رسالة الإنسان في القرآن الكريم هي عمارة الأرض وإقامة العدل..

«ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون»

اسم الله .. الفتاح

ورد اسم الله الفتاح مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ:26]. وورد مرة واحدة بصيغة الجمع، في قول الله عزّ وجل: ﴿..رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف:89].

معنى الاسم ودلالته في حق الله تعالى:

المعنى الأول: الفتاح الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده أجمعين، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ..﴾ [الأعراف:96]. أي: لو أنهم امتثلوا لأمرنا وراعوا قدرنا في السر والعلانية، لكان من جزاء ذلك أن يُفتح لهم من رحمته وأن يُنزل عليهم من فيض رزقه: ﴿..وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:96].

ومنها قول الله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر:2]. يخبر تعالى أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فلو فتح الله تعالى المطر على الناس، فمن ذا الذي يحبسه عنهم؟ ولو حبس عن عباده القطر والنبات سنين طويلة، لما استطاعوا أن يفتحوا ما أغلقه الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [يونس:17].

والمعنى الثاني: الفتاح الذي يفتح أبواب الامتحان والبلاء للمؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:44]. فهذه عقوبة الذين لا يذكرون برسائل الله تعالى المتتالية.

فالله عزّ وجل يُرسل إليك في كل ثانية من عمرك رسالة، فإما أن تفهمها وإما أنك تغفل عنها، فتكون عقوبة الغافل أن تزداد عليه المحن والابتلاءات لعله يفيق من غفلته، فتأتيه الابتلاءات من كل الطرق: يُبتلى في بيته وفي عمله ورزقه.. وحتى فيما بينه وبين نفسه، فيشعر بالوحشة، ويظل يُبتلى حتى يعود، وقد يكون من هذا الابتلاء أن يزداد في النعم زيادة في إقامة الحجج عليه، فيكون من شأنه أن يفرح، وحينها تأتيه العقوبة فجأة: ﴿..حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:44]. مُبْلِسون: أي حائرون تائهون.

والمعنى الثالث: الفتاح الذي يحكم بين العباد فيما هم فيه يختلفون، كما في قوله تعالى: ﴿..رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف:89]. فالفتاح: صفة جمال وجلال، لأنه سبحانه وتعالى يفتح أبواب رحمته ورزقه للطائعين، كما إنه قد يفتح أبواب البلاء والهلاك على الكافرين، ويفتح قلوب المؤمنين، وعيون بصائرهم: ليبصروا الحق، فإذا ضاقت عليك الطرق وضاقت عليك الأرض بما رحُبت، فالجأ إلى ربك الفتاح، يفتح لك كل عسير، وييسر لك أمرك.

يقول ابن القيم في القصيدة النونية (245):

وكذلك الفتاح من أسمائه
والفتح في أوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع إلهنا
والفتح بالأقدار فتح ثان
والرب فتاح يدين كليهما
عدلا وإحسانا من الرحمن
آثار الإيمان بهذا الاسم:

1 – الله سبحانه وتعالى هو الحاكم بين عباده في الدنيا والآخرة، يحكم بينهم بالقسط والعدل، يفتح بينهم في الدنيا بالحق بما أرسل من الرسل وأنزل من الكتب، وهذا يتضمن من الصفات كل ما لا يتم الحكم إلا به، فطالما إنه يحكم بينهم، فهذا يتضمن أنه سبحانه وتعالى حكيم وعدل إلى غيره من الصفات التي تليق به سبحانه وتعالى..

وهذا يدل على الجزاء العدل على أعمال الجوارح والقلوب.. فهو عالم بأسرار الأمور وبواطنها سبحانه وتعالى، ويجازي على معاصي القلوب كما يجازي على معاصي الجوارح، وهو يختص بالفصل والقضاء بين عباده بالقسط والعدل، والحاكم في الحقيقة هو الله جل وعلا.. وإن حكم بغير حكم الله، فليس بحاكم إنما هو ظالم، يقول تعالى: ﴿..وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة:45].

2 – الله سبحانه يحكم بين عباده في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويفتح بينهم بالحق والعدل.. لذلك توجهت الرُسُل إلى الله الفتاح أن يفتح بينهم وبين قومهم المعاندين في ما حصل بينهم من الخصومة والجدال، وهذه رسالة إلى الدعاة أن ينهجوا نهج الأنبياء والرُسُل في معاملة قومهم، فحينما يشعر بأن دعوته لقومه لا تُجدي نفعًا، يلهج بالدعاء إلى ربه الفتاح، كما دعا نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ . فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:117-118].

3 – الله سبحانه هو الفتاح يوم القيامة، الذي يحكم بين عباده فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا..

فالله جل وعلا لا تخفى عليه خافية، وهو سبحانه لا يحتاج إلى شهود ليفتح بين خلقه، وما كان غائبًا عما حدث في الدنيا، يقول تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف:7]. ويقول جل وعلا: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس:61]. فكل خطاراتك وسكناتك تسجل، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يُحاسبك إلا على ما عملت بالفعل، وقد سمى الله تعالى يوم القيامة بيوم الفتح، لأنه يوم القضاء بين العباد، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [السجدة:29].

4 – الله سبحانه وتعالى متفردٌ بعلم مفاتح الغيب، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ..﴾ [الأنعام:59]. وقد عددها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:34].

5 – الفتح والنصر من الله سبحانه وتعالى: فهو يفتح على من يشاء ويذل من يشاء، وقد نسب الله تعالى الفتوح إلى نفسه: ليُنبه عباده على طلب النصر والفتح منه لا من غيره، لذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح:1]. وقال جل ثناؤه: ﴿..فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ..﴾ [المائدة:52]. وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف:13]. إذا: فليس علينا إلا أن نجتهد ونأخذ بالأسباب، أما النصر فهو من عند الله سبحانه وتعالى.

6 – الله تعالى بيده مفاتيح خزائن السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى:12].

7 – وقد يفتح الله تعالى أنواع النعم والخيرات على الناس استدراجا لهم، فإذا تركوا ما أمروا به، ووقعوا في ما نهوا عنه عوقبوا بالاستدراج.

8 – والحكمة والعلم والفقه في الدين من الأمور التي يفتحها الله على من يشاء من عباده..

يقول الله عزّ وجل: ﴿..وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ..﴾ [البقرة:282]. ويقول جل وعلا: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الزمر:22]. يقول القرطبي: «وهذا الفتح والشرح ليس له حد، وقد أخذ كل مؤمن منه بحظ.. فقاز الأنبياء بالقسم الأعلى، ثم من بعدهم من الأولياء، ثم العلماء، ثم عوام المؤمنين ولم يُخيّب الله منه سوى الكافرين».

حظ العبد من اسم الله الفتاح:

1 – دوام التوكّل: أن تعتمد على الله سبحانه وتعالى قبل الأخذ بالأسباب، وأن تطلب منه وحده مفاتيح الخير، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله قام على المنبر فقال: «إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض»، وفي رواية: «..ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»(صحيح البخاري).

2 – كن أنت مفتاحًا للخير: يقول النبي: «إن هذا الخير خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله عزّ وجل مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير» (رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني). فعليك أن تكون مباركا حيث ما كنت، وتخلل طوال الوقت تفكر في أفكار وطرق لهداية الناس من حولك، وتفتيح أبواب الخير أمامهم.

3 – التوحيد والمتابعة للنبي: وهي أعظم المفاتيح للخير والرزق، كما يقول النبي: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله»، وفي رواية: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» (رواه مسلم). و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصًا، إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر» (رواه الترمذي، وحسنه الألباني).

وأعظم أسباب الحرمان: (الذنوب) لا سيما الكبائر.

كيف ندعو الله تعالى باسمه الفتاح؟ ادع ربك الفتاح أن يفتح عليك إذا انغلقت في وجهك الأسباب والأمور.. ومن الأدعية الواردة في القرآن والسنة: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ..

واللهم افتح لي أبواب رحمتك: عند دخول المسجد، قال رسول الله: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهمّ افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهمّ إني أسألك من فضلك» (رواه مسلم).

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك وافتح لنا أبواب فضلك واجعلنا من عبادك الصالحين.

مساجد الإسلام .. في كل مكان

جامع محمد الأمين بلبنان

جامع محمد الأمين في بيروت، لبنان هو مسجد يقع في ساحة الشهداء في وسط العاصمة اللبنانية بيروت. ويعتبر من أضخم مساجد لبنان وأفخمها ويتسع لنحو خمسة آلاف شخص.

تأسس الجامع في بداية الأمر كزاوية صوفية في 1853 حملت اسم «زاوية الشيخ محمد أبو النصر» (مواليد 1801) حيث منح السلطان العثماني عبد المجيد (1839–1861) قطعة أرض للشيخ تقديرا لجهوده الدينية لينشئ الشيخ زاوية للتعبد والتعليم الديني وإقامة الأذكار الصوفية. لاحقا قام الشيخ بتحويل الزاوية إلى جامع صغير حمل اسم (محمد الأمين) نسبة لرسول الإسلام محمد.

في منتصف القرن العشرين برزت فكرة توسيع الجامع وجمعت التبرعات لهذا الغرض إلا أن الحرب الأهلية في البلاد أجلت المشروع لأجل غير مسمى، وفي 2002 وضع حجر أساس بناء الجامع الحالي على أنقاض المسجد القديم رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريري.[1]

تبلغ مساحة بناء الجامع المطل على ساحة الشهداء وشارع الأمير بشير الإجمالية 10700 متر مربع موزعة على أربع طبقات وبه قباب طليت باللون الأزرق اللازوردي وأربعة مآذن يمكن رؤيتها من عدة مناطق في بيروت وقد صمم على الطراز العثماني واللبناني فيما الزخارف والتفاصيل المعمارية على الطابع المملوكي فيما زينت أسقفه بثريات ضخمة من الكريستال.[2]

بالقرب من الجامع يقع ضريح رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري الذي قضى اغتيالا في تفجير استهدف موكبه في 14 فبراير 2005.